

سياسة روما تجاه المقاطعات التابعة لها خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد

الأستاذ: حسن بلعيد

قسم العلوم الإنسانية و الإجتماعية

جامعة يحي فارس – المدية

Résumé:

Parmi les faits qui devaient favoriser ces aspirations vers la romanisation générale, il faut placer en premier ligne le développement du mouvement colonial dans les provinces extra-italien par ce que la gestion des provinces du peuple romain reste celle qui s'exerçait pendant la République. Leurs gouverneurs sont des anciens magistrats supérieurs, toujours sénateurs nommés pour un an par le Sénat et portant le titre de proconsul ou de propréteur. L'attribution de ces provinces se fait par tirage au sort au Sénat, mai avec le temps ces gouverneur en exécerer des pouvoirs supérieur a ceux qu'ils ont accorder ce qui donne un déséquilibre entre Rome et ces provinces.

لقد تميز تاريخ الرومان بتعدد مصادره التي كانت كثيرة، وذلك نظرا لمدى قوة الكيان الروماني عبر التاريخ، بسبب تلك التوسعات التي طالت العديد من المناطق الموجودة في التاريخ القديم، وكان العهد الجمهوري فترة انتقالية من العهد الملكي، والتي تميزت هي بدورها بأنها فترة ملفتة وعلى قدر كبير من القوة كسابقتها، اكتسحت بها روما العالم القديم من خلال حكامها، لقد حاول الرومان من تثبيت هذا النظام للقضاء على السلطة المحضة لشخص واحد وهو الملك وإشراك عدة أطراف في الحكم ربما لإظهار بعض الشفافية أو لنطلق عليها إن صح التعبير "الديمقراطية في الحكم" أي إشراك العديد من الأطراف وربما من مختلف الطبقات شرط أن يكونوا رومانين يتمتعون بكل الحقوق للمواطن الروماني، وعلى غرار الإمبراطوريات والممالك في التاريخ القديم، كان على الجمهورية الرومانية أن تتوسع

على حساب جاراتها من الممالك والإمبراطوريات لتحوز على أكبر جزء من الأراضي من أجل بسط سيطرتها السياسية، بهدف نشر نظامها واستغلال موارد تلك الأقاليم في تمويل نفقات شعبيها ونفقات الحروب التي كانت تخوضها في إخضاع العديد من المناطق التي اعتبرت ذات أهمية بالنسبة لها، والتي كانت في حد ذاتها تتمتع بصيت في التاريخ القديم، وعليه وعلى إثر ضمها لتلك الدول والمدن، يطرح السؤال نفسه عن: ما هي الطريقة والنظام الذي عاملت به الجمهورية الرومانية الأقاليم التي أخضعتها وهل اتسمت معاملتها بالقسوة أم كانت لها جوانب إيجابية؟

لقد اعتاد المؤرخون الحاليون في دراستهم للتاريخ القديم فيم يخص سياسات الممالك والإمبراطوريات القديمة الاهتمام بعلاقتها مع مستعمراتها الأجنبية أو الأقاليم التابعة لها وكانت تحتل الإهتمام الأول من دراساتهم ففي منتصف عهد الجمهورية الرومانية، بالرغم أن التطورات جاءت لتلقي بظلالها جميعا بعد تدمير قرطاجة* فمن الخطأ أن يكتب على أن الرومان قد تغيروا في سنة 146 ق م، في الحقيقة كان التوسع الروماني الخارجي، بسبب القوة والرخاء قد خلق *res publica* والأفراد وبسبب المشاكل التي رافقت نموها، والتي ظلت مستمرة لتكون المحفز الرئيسي بالنسبة للتغيرات السياسية، غير أن بوليبيوس يقول أن تلك الكتابات التي تتناول التغيرات التي أرخت إنطلاقا من الفترة السابقة قد كتبت الفترة ما بين 167 ق م و146 ق م من أن الرومانيين قد أصبحوا أسياد العالم بحسب قوله، لكن لا يعني ذلك أنهم أداروا كل المنطقة أو حتى أنهم كانوا مهتمين بكل ما كان يحدث في كل

*- قرطاج: لقد تم تأسيس قرطاجة من قبل الفينيقيين في الموقع الذي يمتد إلى جانب صخري يتجه طرفه الذي يشكل رأس قرطاجة نحو الشرق حيث تقع حاليا مدينة سيدي بوسعيد في تونس يحيط به مساحات رملية من الشمال الغربي والجنوب الغربي على بعد كيلومتر واحد من البحر حيث نزل البحارة الفينيقيون لأول مرة في الخليج أين أنشأوا عليه مرفأ قرطاجة بعد توسيعه نحو الداخل. اسم قرطاجة بالفينيقية "قارت حادشت" أطلق عليها الرومان قرطاج. carthage

** *res publica* : أو الجمهورية الرومانية هو مصطلح على نظام الحكم الذي تلا فترة النظام الملكي في روما منذ 509 ق م، حيث ثبتوا حكما ارستقراطيا جمهوريا بسلطات مدنية اشترك فيه بدل الملك شخصين وهما برتبة قاض عرف فيما بعد بالقنصل إذ اشتركا في الحكم لمدة 12 شهرا تلك الفترة التي سميت بفترة الجمهورية الرومانية، هذا وقد حددت السنة التي انتهى فيها هذا النظام بمطلع سنة 27 ق م لتكون بداية الحكم الإمبراطوري، أنظر:

جزء، ذلك أنهم كانوا في طريقهم لخسارة بعض مستعمراتهم خاصة مع المد الهلينيستي¹.

(1) توسعات روما منذ 146 ق م:

بسنة 146 ق م أصبحت روما مهيمنة على شبه الجزيرة الإيطالية، وحاليا تونس، وحاليا البرتغال، وحاليا اسبانيا، وشبه الجزيرة الإغريقية، ومنذ سنة 112 إلى 106 ق م واجهت الجمهورية الرومانية الحرب اليوغرطية، معيدة إرسال جنودها إلى شمال إفريقيا حيث انتهت الحرب بالقبض على الملك النوميدي يوغرطة^{***}، كما دخلت في مجابهة مع الكيمبريين وبعض القبائل الجرمانية الأخرى التي تسمى حاليا سويسرا، حيث تحركت جنوب الغال وقامت بتدمير جيش قوامه 80.000 في معركة أروسيو، وقامت بذبح 40.000 روماني من غير المحاربين، والتي قادت إلى الحرب في بلاد الغال^{****} والتي بلغت ذروتها في معركة فيرسيلاي، إذ قام القائد ماريوس^{*****} بتدمير الكيمبريين في المعركة السابقة الذكر، والتي قتل فيها من رجال القبائل ما عدده 140.000 رجل وعائلاتهم، وقام بأسر 60.000 أخرى².

1- J.A. Crook, Cambridge Ancient History, vol9, The last age of the Roman Republic 146- 43 BC, Cambridge University press, UK, 1992, p16.

***- يوغرطة: يوغرطة ابن غايا ملك نوميدي أعلن الحرب على الرومان سنة 112 ق م، حيث أسس إمبراطورية شامخة، وأحيا المعالم الوطنية النوميديية في شمال إفريقيا، أنظر: عثمان الكعك، البربر، أعدده للنشر تامنغست، ب د ن، ب م ن، جمادى الأولى 1375 هـ، ص 53.

****- بلاد الغال: وفقا للتاريخ الروماني أطلق هذا المصطلح لوصف مكانين، الأول كيسالين غال والتي كانت عبارة عن الجزء الشمالي من إيطاليا الذي احتل من طرف القبائل السلتيية، والآخرى ترانسالين غال المساحة التي تضم فرنسا وبعض المناطق المجاورة لها والتي كانت مأهولة أيضا بالسلتيين، وبالرغم من التشابه الديني على غرار العادات والتقاليد إلى أن المنطقتين كانت تتميز باختلافات واضحة في تاريخهما، دخلت في صراع مع روما من أجل أراضيها منذ 386 ق م، للمزيد أنظر: Marsha E. Ackermann, op. cit, p Michael J. Schroeder&155.

*****- ماريوس: غايوس ماريوس(157- 86 ق م)، قائد روماني ينحدر من عائلة رومانية تنتمي للعامة، بدأ مسيرته الشعبية أثناء حرب يوغرطة، عندما حاز على دعم الحزب الشعبي نظرا لانتصاراته العسكرية، حيث انتخب قنصلا سنة 107 ق م وأيضا لسنة 100 ق م للمرة السادسة، للمزيد أنظر: Marsha E. Ackermann & Michael J. Schroeder and others, Encyclopedia of History, vol1: The Ancient World Prehistoric eras to 600 C.E, Facts On File, USA, 2008, p 387.

بالرغم من سيطرة الرومان على أغلب مناطق البحر الأبيض المتوسط وروما إلا أن شبه الجزيرة الإيطالية كانت تواجه ما سمي بالحرب الإجتماعية(91. 88 ق م)، والتي نشبت إثر غضب بعض المواطنين بسبب حرمانهم من حق المواطنة الرومانية، وبصعوبة بالغة فقد تغلب الرومانيون على خصومهم، ولم يظهروا الوحشية التي تعاملوا بها في حروبهم ضد بلاد الغال وأماكن أخرى، وتعثرت الإمبراطورية السلجوقية سعى الرومانيون للتوسع في آسيا الصغرى(والتي تسمى في وقتنا الحالي تركيا) حيث تزامنت هذه الأزمنة مع تصاعد ثورة مثيردات السادس بونتوس والذي بسط سيطرته بيثينيا وكبادوكيا*****، إذ قام على إثرها القائد والسياسي سولا***** بالتصدي له وهزمه في معركة كايرونيا في سنة 86 ق م، وفي معركة أرخومينوس في السنة الموالية، وقام بعدها بالذهاب لشبه الجزيرة الإيطالية بسبب الحرب الأهلية، ليعلن نفسه ديكتاتورا، ولاحقا عاد إلى آسيا الصغرى في الحرب الميثرديادية الثانية(83،81 ق م)، والحرب الثالثة (75، 65 ق م)، حيث هزم الرومانيون تحت قيادة لوكولوس جيش بونتوس في معركة كايبرا من سنة 72 ق م، والأهم من ذلك فقد اعتبروا منذ ذلك الوقت بمثابة تهديد للجمهورية الرومانية في الجهة الشرقية¹.

ليس بعيدا عن التهديد القادم من الجهة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وجه الرومانيون نظرهم نحو اسبانيا، حيث حاربهم يوليوس قيصر*****، أخذوا شبه

***** - بيثينيا وكبادوكيا: هما مقاطعتان كانتا على قدر كبير من الأهمية في التاريخ الروماني وتقعان في

آسيا الصغرى بما يسمى حاليا تركيا للمزيد أنظر: Matthew Bunson, Ancylopedia of Roman Empire, Facts On File, USA, 2002, pp 76 ; 93

***** - سولا: ولد سنة 138 ق م لعائلة نبيلة انتقلت من الثراء إلى العيش في منزل متواضع، اكتسب ثروته من أرملة كانت مغرمة به، ومن زوجة أبيه، اكتسب شهرته من خبرته العسكرية، أنظر:

Fiona Mary Nonle, Sulla and the Gods : Religion, Politics, and Propaganda in the Autobiography of Lucius cornelius sulla,(Thesis for the degree of doctor), Newcastle University, 2014, pp16,17,18
3- Ibid.

***** - يوليوس قيصر: غايوس يوليوس قيصر جنرال، سياسي، رجل دولة، خطيب وكاتب حيث أدت أفكاره إلى ظهور الإمبراطورية الرومانية، ولد سنة 100 ق م أثناء قنصلية ماريوس الكبير، اختار قيصر الدخول في المجال العسكري في فترة شبابه، كويستور سنة 69 ق م، للمزيد انظر: Matthew Bunson, op. cit, p86 و إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق ص 231 :233.

الجزيرة الإيبيرية تحت سيطرة الرومانيين، وقد شن قيصر حروبه الغالية من 58 إلى 51 ق م، وانهزم الغاليون في أكثر من معركة وأشهرها هزيمتهم في معركة أليسيا في 52 ق م وللعشرين سنة اللاحقة جرت حروب أبرزها الحروب الأهلية وخاصة تلك التي هزم فيها قيصر بومبيوس ومارك أنطونيوس ***** وهزيمة أوكتافيوس لبروتوس، وكذا هزيمته لمارك أنطونيوس نفسه، وبذلك بسط أوكتافيوس سيطرته على شبه الجزيرة الإيطالية، بلاد الغال، شبه الجزيرة الأيبيرية، دالماتيا، كورسيكا، سردينيا وصقلية، وبقي أنطونيوس محتفظا باليونان ومقدونيا، آسيا الصغرى، سوريا، فلسطين، قوريناثة(ليبيا حاليا)، وأدت الهزيمة الأخير من أوكتافيوس لأنطونيوس تمكنه من بسط سلطته على مصر وهناك قام بتثبيت حكم الرومانيين¹.

(2) أهمية المقاطعات بالنسبة للجمهورية الرومانية:

إسبانيا:

كانت منطقة إسبانيا واحدة من غنائم الحرب البونية الثانية، كانت هذا التوسع كفيلا بأن يزيدوا عدد الحكام سنة 197 ق م، حيث كانت قيمتها من قيمة قرطاج بالنسبة للرومانيين، حيث تكمن أهميتها في توفير الجنود المساعدين للجيش الروماني وخاصة الفرسان والقوات المسلحة من الفئة الخفيفة، والحبوب والمعادن الثمينة. يذكر بوليبيوس متحدثا عن رخاء منطقة إسبانيا عن 40 ألف عامل يعملون في مساحة قدرها عشرون ستاديا أي ما يعادل أربعة كيلومترات حول قرطاج الجديدة يعملون في استخراج الفضة، حيث تقدر قيمة منتوج اليوم الواحد

***** - مارك أنطونيوس: هو احد الأطراف المتحالفة. قنصل، واحد من أشهر شخصيات التي لعبت دورا هاما أواخر الجمهورية الرومانية. هو ابن أنطونيوس كرتييكوس أميرال غير ناجح في مسيرته وابن جوليا ولد سنة 83 ق م، شغل قائد فرسان في جيش غابينيوس سنة 58 أو 57 ق م في مصر وفلسطين. للمزيد أنظر: Matthew Bunson, op. cit, pp 25, 26.

***** - أوكتافيوس: سعي بسيد العالم الروماني تلك القوة والعظمة رافقت حكمه إلى النهاية، حيث كان الأول الذي سعي بالإمبراطور الروماني. إذن كان أول الأباطرة الرومانيين، أوغسطس ولسمه الحقيقي غايوس أوكتافيوس، مؤسس الإمبراطورية الرومانية ولد سنة 63 ق م للمزيد انظر:

Matthew Bunson, op. cit, pp 57, 58 , Kathleen Kuiper, ancient Rome from Romulus and Remus to Visigoth invagion, Britannica Educational Publishing, USA, 2011, p104.

خمسة وعشرون ألف ديناري، ومن المؤكد أن وظيفتهم هذه كانت بمثابة المخرج ووسيلة مريحة لدفع الإسبان ضرائبهم للرومان مقابل دفع الرومان مبالغ مقابل هذه السلع والخدمات الإسبانية¹.

حقيقة أن معظم الإسبان لم يدفعوا الجزية، إذ من كان يدفع الجزية أولئك الذين خضعوا للسلطة الحكام الرومانيين، لكن ستكون هناك نظام ضريبي منظم سيقوم تيبيريوس غراكوس **** بطرحه على إسبانيا سنة 177 ق م وهو الذي بدأ حكمه سنة 179 ق م، لقد كانت إسبانيا أولى المقاطعات التي تقدمت بالشكاوي ضد حكام الجمهورية الرومانية، حيث اشتكت من ظلم هذا التجاوزات أي فيما يخص جباية الضرائب (كانت مجموع الجزية المدفوعة سنة 215 ق م تقدر بـ 3.600.000 ديناري)، حيث كانت اتهاماتهم حول استخدام الحكام العسكريين في جمع الأموال (استخدام القوة)، والفساد في تحويل قيمة المحصول إلى قيمة نقدية على الإسبانين دفعها، وكذلك الأموال المفروضة على المبيعات التنقل (ضريبة المبيعات وضريبة المرور)².

بلاد الغال:

لقد كانت المنطقة معروفة جيدا من قبل التجار الإيطاليين، كانت مصدرا هاما للنبذ، وزراعة الزيتون والكروم، فقد كانت إضافة إلى مصدر عسكرية كانت مصدرا زراعيا لروما، كما كانت مصدرا للذهب والفضة حيث تذكر حادثة عندما استولى كاييو على الخزائن المقدسة بسلتيك بالقرب من تولوسا(تولوز حاليا) ما يقارب خمسة عشر مليون من الفضة غير المذهبة وكذلك الذهب، كما أصبحت قاعدة للدفاع بالنسبة لماريوس ضد القبائل الجرمانية 104، 102 ق م، حيث أدرك الرومان قيمة تلك المنطقة بما لما توفره من إمكانات إقتصادية تجعلهم راغبين في

¹ - J.A. Crook, op. cit, pp 20, 21.

**** - تيبيريوس غراكوس: تيبيريوس سامبرونيوس غراكوس أحد ترابنة العامة المنتخبين لسنة 133 ق م أيضا أنظر:

إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص ص 204-211.

² - Ibid

امتلاك أراضي، حيث ستكون بعد خمسين سنة مقاطعة قبلة للمواطنين الرومان، وخاصة رجال الأعمال¹.

صقلية:

نظرا للأحداث التي وقعت في صقلية، هناك القليل مما نعرفه عن صقلية وأهميتها بالنسبة للرومان، غير أن أهميتها من الناحية الزراعية تغطي على جميع الأحداث المرتبطة بها، وبما أنها من المدن الحرة فقد أعفيت من الضريبة، لقد حدثت في صقلية ثورتان من ثورات الرقيق(7/138، 132 ق م) والأخرى سنة (104- 101 ق م)، حيث قام مجلس الشيوخ بإصدار قرار يأمر بأسر المتمردين وجعلهم كعبيد، حيث قاموا بنهب الأراضي وحرقها وتدميرها أملين أنهم سيعودون ليستصلحوها على أنها أراضيهم ملك لهم².

مهما يكن فكانت أطماع الرومان إقتصادية أكثر منها سياسية، فقد اعتمدت على التوسع الجغرافي لضمان موارده المالية فهي اختارت المناطق بعناية نظرا لمقوماتها الإقتصادية، وما جباية الضرائب والإستغلال الفاحش لثرواتها إلا دليل على نوايا الرومانيين الإقتصادية، لتوفير الدعم لقواتها ورفاهية شعبيها.

3) السياسة العامة للجمهورية الرومانية في المقاطعات التابعة لها قبل وبعد 133 ق م إلى 27 ق م :

من المعروف أن مجلس الشيوخ الروماني كان المسيطر الفعلي على السياسة الخارجية للجمهورية الرومانية، حيث يشرف على توسعاتها أيضا، فقبل سنة 133 ق م حكموا معظم الأراضي التي تمتد من غربا من وسط آسيا الصغرى إلى المحيط الأطلسي، ويمكن تلخيص التوسع العشوائي وتنظيم هذه المناطق الشاسعة تحت نظام المقاطعات، لكن وبحلول القرن الثاني قبل الميلاد قد اتضحت معايير الإدارة الإقليمية والتي اتخذت شكل ميثاق يخص طريقة حكم كل المقاطعات سمي بـ قانون المحافظة *lex provinciae* ويمكن تعديله من قبل مجلس الشيوخ الروماني ومن قبل الشعب فقط في روما، فبالكاد منح الرومان ثقتهم لتلك الأقاليم، أو

¹ - Ibid, p 24.

² - Ibid, pp 25, 26

تحالفوا أو منحوهم حق المواطنة ليعشوا كمواطنين رومانيين يتمتعون بكامل الحقوق، كما فعل الإيطاليون¹.

فقد أظهرت الممتلكات الجديدة تنوعا هائلا بدءا من قبائل القرى الجبلية في إسبانيا إلى العاصمة الملكية الهلنستية السابقة بيرغاموم، شكل فسيخاء الوحدات السياسية التي تشكل مقاطعة نموذجية تضم عادة ثلاث فئات من المجتمع، أو سكان المدينة (سكان المدينة) *civitates*، حيث احتفظوا بقدر كبير من الحكم الذاتي وبمؤسساتهم وعاداتهم وتقاليدهم أولا عدد قليل من المجتمعات المفضلة عند الرومان كانت قد بقيت تدين وملزمة بالتبعية للرومان بموجب معاهدة دائمة، وقد كانوا بمثابة دعم وقت الحروب تلك هي مجموعة المدن التي سميت بالمدن الحرة الحليفة وكانت ملزمة بموجب معاهدات فردية (أي لكل مدينة معاهدة) *civitates liberae et foederatae*، أما الفئة الثانية وعدده قليل وتتكون من المدن الغير ملزمة بالتحالف قبل الحروب ولكن تعاونهم معهم يستحق اهتماما خاصا، تلك مدن تتمتع بالحرية والحصانة كانت تسمى بـ *civitates liberae et immunes*، وليست كسابقتها فهي ليست ملزمة بمعاهدة دائمة وظلت عرضة لإبطالها في أي وقت، لقد تمتعت كلتا المجموعتين بامتيازات خاصة مشتركة تقنيا وليس كل المقاطعة إلا أنها تمتعت ببعض من الإستقلالية، تمتعوا بالحصانة القضائية من طرف الحاكم، والذي راعى قوانينهم الأصلية، فجميع المدن التي احتفظت بحريتها أو أكثر من ذلك وكانت حليفة الجمهورية الرومانية كانت بمنأى عن الضرائب، لكنها كانت مطيعة من ناحية السياسة الخارجية لروما، وإن تطلب حتى تعاونها من الناحية العسكرية، أما المجموعة الثالثة وهي الأقل حفا وهي المدن التي تدفع الجزية *civitates stipendiariae*، والتي تشكلت إلى حد بعيد من عدة مجتمعات في مقاطعة واحدة، وعلى الرغم من التزامها بدفع الضرائب للمقاطعة، غير أنها تمتعت بتسيير شؤونها بنفسها².

أ- حكام المقاطعات:

¹ - William E. Dunstan, Ancient Rome, Rowman & Littlefield Publishers, UK, 2011, p 96.

10- Ibid

وعلى كل فإنه كان للجيش الحظوة الأولى في التأثير على إدارة المستعمرات والأقاليم، هو أساس إدارة المقاطعة، الحاكم كما كان يسمى، كان في عيون الرومان قائدا وله الصلاحية المطلقة، وأوامره غير قابلة للاستئناف، فأوامره فوق كل سكان الأقاليم ما عدا الرومانيون الذين يقطنون هناك، ومع بعد الحاكم عن مجلس الشيوخ الروماني فقد كان يتوقع في أي وقت ثورة تلك الأقاليم فلم يكن من السهل التحكم بهم خاصة مع المسافة التي تفصلهم عن روما، كما عاملت تلك الأقاليم بشكل سيئ ربما لأسباب سياسية أو حتى أخلاقية ومهما يكن فلم يكن هناك أي انخفاض من صلاحيات القائد خلال فترة ولايته، ومع ذلك كانت تلك علامة حددت السياسة اللاحقة لروما مع أقاليمها¹.

لم يتمكن حكام المقاطعات من العمل على النحو الكاف دون امتلاك السلطة التي هي في منصب القنصل والبريتور، ذلك أن انتخاب القضاة كان لمدة ثابتة غير قابلة للتغيير، فمع انتشار المقاطعات خلال القرن الثاني قبل الميلاد، تحولت قرارات مجلس الشيوخ الروماني بشكل متزايد إذ قامت بإطالة مدة حكم القناصل والبريتور في مهمة إدارة الأقاليم، وبناء على ذلك عمل حاكم المقاطعة بصفته مستشارا أو مالكا، مما يؤدي حتميا إلى فترة إضافية من الخدمة بعد انتهاء فترة حكمه الذي تقلده كقاضٍ إثر انتخابه، لذا كان يمارس سلطة شبه ملكية علاوة على العسكرية ذلك أنه كان يحمي الحدود ويدافع عنها ضد الفوضى الداخلية، وشمل موظفوه: كويستور والذي تركزت مهامه في الشأن المالي، ومجموعة من المندوبين (legati)، رفيعي المستوى يؤدون واجبات يفوضها المحافظ، وعدد من المرافقين (comites) من الأرستقراطيين الشباب الذين خدموا لاكتساب الخبرة في الميدان الحكومي²

رغم أن الحاكم لم يحصل على أجر على خدماته، إلا أن مجلس الشيوخ الروماني صوت لإرسال قيمة أموال لكي ينفق بسخاء على موظفيه والقوات العسكرية وتوفير الإحتياجات والملابس والغذاء والنقل، غير أنه خصص لنفسه حصة من المال الغير المنفق لإحتياجاته الخاصة كما استغل الفائض من الإمدادات التي كانت ترسلها المحافظات³.

11-Kathleen Kuiper, Ancient Rome, Britannica Educational Publishing, USA, 2011, p 78.

² - Ibid.

12- William E. Dunstan, op. cit, p 96

ب- حيازة الضرائب:

لقد فرض الحكام الضرائب على المقاطعات، وقد يبرروا هذه الممارسات بحاجة المقاطعة للمال لتحمل تكاليف الإدارة الجيش، وبصفة عامة اعتمدت الإدارة الرومانية النظام الضريبي الذي وضعه الحكام السابقون في أي مجال معين، اتخذت الضريبة الرئيسية (tributum) والتي تدفع من قبل المقاطعة شكلين: إما مبلغ سنوي ثابت (stipendium)، كما هو الحال في اسبانيا وإفريقيا، أو حصة من المحاصيل التي قاموا بجنمها (decuma) العشر أو واحد عشر العائد السنوي)، كما هو الحال في صقلية، وفي المقاطعة التي فرضت عليها الضريبة الثابتة قام كل مجتمع من المجتمعات برفع حصته الخاصة، وتحويلها لمبلغ قابل للدفع¹.

كما قام نظام مختلف في المقاطعات المنتجة، إذ تحول نقص العمالة إلى خلق مناصب بما سمي جامعي الضرائب حيث عمل الموظف (publicani) إما بشكل فردي أو كعملاء لمؤسسات تحصيل الضرائب (societates publicanorum)، وعمل الجمهوريون كمضاربين يقومون بمناقصات على القيمة التي تقدمها مقاطعات معينة والتي عليها ضرائب العشر، وظلوا حرين في تعويض أنفسهم بأكبر قدر ممكن من الأموال الهائلة التي استنزفت من ملاك الأراضي، وخاصة في سنوات الحصاد الجيدة، غير أنه في مواسم الكساد لا يحصلون على أرباح جيدة².

اعتبرت الضريبة الرئيسية آنذاك ضريبة الأرض، وزيادة على هذه الضريبة كان السكان يدفعون المكوس الجمركية عن السلع المستوردة إلى الولايات أو السلع التي تردهم منها، كما كان الحرفيون والسكان الذين كانوا يمتنون مهنة ما كان واجب عليهم دفع ضريبة تسمى "ضريبة أرباع العمل"، حتى أن الجمهورية الرومانية كانت تستفيد من تأجير سكان المقاطعات ممن يمتلكون مناجم وأراضي ومحاجر ومراعي عامة أو من كانوا يمتلكون مساحات من الغابات وقد أجروها، عليهم دفع مبالغ كضريبة على تأجيرها إذ اعتبرت هاته الممتلكات جزءا من الممتلكات الرومانية باعتبار أنها تقع داخل المقاطعات التي أصبحت تحت الجمهورية الرومانية³.

¹ - Ibid.

14- Ibid.

³ - إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996، ص 190

إلى جانب الضرائب التي كانت تدفع بانتظام إلى خزينة الجمهورية، وجب على سكان الولايات توفير المأوى والمؤونة ووسائل النقل للحاكم الروماني وأتباعه، واعتبر هذا عبئاً ثقيلاً على الأهالي مما جعل مجلس الشيوخ الروماني ينظر في هذه القضية، وعليه قام بتحديد مقدار الإلتزامات المفروضة على سكان الولايات في هذا الشأن، كما اعتمد الحكام الرومانيون في المجال العسكري على تجنيد البعض من سكان المقاطعات، غير أنه رغم فرض الضرائب والمكوس الجمركية كان لهم نصيب من الجندية لكن لم تطبق على الأهالي بقدر ما فرضوها على القبائل الأكثر بداءة، بسبب أنها لا تستطيع دفع الضرائب ولن تدفع إلا القليل منها، لذا لجأ الرومان إلى الدول الحرة المتحالفة من ناحية التجنيد في حالة الضرورة القسوة وذلك ضمن شروط المعاهدة المتفق عليها¹.

لقد اتفق جباة الضرائب مع التجار الرومان وكانت هذه وسيلة ولا أبشع في ابتزاز المزيد من المال من أهالي المقاطعات، واعتبرت وسيلة لربح مال وفير، حيث يقوم التجار بتقديم عرض وهو شراء محاصيل المزارعين الذين هم في ضيق من أجل دفع الضرائب بأسعار منخفضة مباشرة بعد جني المحصول وهم على علم بما يعانیه المزارعون الذين استدانوا من الأثرياء وكان عليهم سداد ديونهم، ليرجعوا ويبيعوها بأسعار مرتفعة في موسم الحرث حيث يقل العرض ويكثر الطلب على الحبوب في الأسواق².

4) سياسة القادة الرومانيين نحو المقاطعات:

لقد فشلت طبقة النبلاء والمتمثلة أغلبهم في أعضاء مجلس الشيوخ الروماني فشلاً ذريعاً في تسيير شؤون الولايات وحل المشاكل التي ألت بها سواء من الناحية السياسية، الإجتماعية أو الإقتصادية والتي نتجت عن أتساع رقعة الجمهورية الرومانية، واستفرد هذه الطبقة بمعظم الوظائف العامة³.

1. قانون الأراضي وأثره على الملاك (الحلفاء) في الولايات:

¹ - نفسه، ص ص 191، 192.

² - نفسه، ص ص 194، 195.

³ - إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، مصر، 1973م، ص 10.

لقد تخلل القانون الذي سنه تيبيريوس غراكوس بند بحيازة الدولة لمساحة معينة فائضة من ملكية الأراضي وتوزيعها على فئة اجتماعية خاصة العامة والفقيرة، وربما حددت المساحة فيما بعد وبعد صدور القانون سنة 111 ق م بثلاثين يوغرا بشرط وهو عدم بيعها، وكان هذا القانون يشمل الحلفاء من الولايات التابعة للجمهورية الرومانية، كم كان هناك بند يقضي بانتخاب لجنة ثلاثية لتحديد الأراضي وتوزيعها على مستحقيها¹.

لقد مس قانون تيبيريوس جميع الأثرياء سواء من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني أو غيرهم، كما لم يستثنى حلفاء روما إيطاليين كانوا أم اللاتين، وكان بمثابة تهديد لأرباب الأراضي الرومانيين وحلفائهم وملاك الأراضي في مختلف المناطق التابعة لروما².

لم يكن هناك مفر من تطبيق هذا القانون على الأراضي التي تحوزها المناطق المتحالفة والتي زادت على حدها الأقصى كما نص عليها بنود القانون، عندها أحسوا بظلم شديد جراء اقتطاع جزء من أملاكهم وهم الذين وقفوا بجانب الرومان في حروبهم عن طريق إقحام قواتهم في حروبهم، وهذا ما هو إلا تأكيد على أنهم أدنى مستوى من الرومان أنفسهم، وعليه انتهزوا الفرصة للتعبير عن ضيقهم الشديد من تصرفات هذه اللجنة، وقاموا بإرسال التظلم إلى روما إلى مجلس الشيوخ الروماني، ذلك أن اللجنة الثلاثية تطبق قانون تيبيريوس غراكوس الذي لم يحظى بتأييد أعضاء مجلس الشيوخ من الطبقة النبيلة، إذ سعى الحلفاء لرفع تظلمهم ليلقى صدى عند هذه الفئة لكنهم مثل هؤلاء لم يكونوا أصدقاء مخلصين للحلفاء، إذ أنهم أنفسهم كانوا مسئولين عن ما يعانیه الحلفاء من ظلم وهذا ما يتعارض مع مصالحهم أن وقفوا إلى جانبهم³.

سكيبيو إيميليانوس الجندي الروماني الذي عرف القيمة الحقيقية للحلفاء، وجد فيه هؤلاء الملاذ الوحيد لرفع قضيتهم والوقوف إلى جانبهم عند طرح مشكلتهم أمام مجلس الشيوخ الروماني، حيث أقنع إيميليانوس مجلس الشيوخ الروماني بتحذير أعضاء اللجنة الثلاثية بالإبتعاد عن الممتلكات التي يحوزها الحلفاء وينبغي نقل

¹ - نفسه، ص ص 22، 23.

² - نفسه، ص 24.

³ - نفسه، ص ص 48، 49.

النزاعات إلى القنصل توديتانوس، والذي ذهب إلى إيليريكوم^{****} ، غير أن توزيع الأراضي استمر بنفس الوتيرة وارتفع عدد الأراضي الموزعة في سنة 125 ق م مقارنة بسنة 131 ق م، هذه الخطوة لم تلق تأييدا من معارضييه والذين رفضوا معارضته لقانون كاربو، غير أنه وفي صباح أحد الأيام وهو في طريقه للذهاب لمجلس المسائلة الإيطالي وجد سكيبيو أيميليانوس ميتا ولم يعرف سبب موته وأوعز إلى أنه وفاته كانت طبيعية إثر نوبة قلبية، وبالتالي فقدت روما رجلا حريبا مستقيما الذي مارس تأثيرا معتدلا على حياتها السياسية والثقافية، بحيث بدا العديد من الحلفاء الذين أصبحوا بدون راعهم آمم بالتوافد على روما غير أنهم قبولوا بالرفض الحاد، وبالتالي أحبط الحلفاء من قبل شخصيات في مجلس الشيوخ الروماني¹.

أسيا:

بدأت التوترات عموما في أسيا نتيجة لثقل الضرائب التي أتت نتيجة لتلاعب المصرفيين بسكان المقاطعات، إذ أبرم هؤلاء اتفاقياتهم مع أشخاص حساسين، بحيث كانوا يمارسون مهنتهم حتى مع أمراء أجنييين، ومدن المقاطعات، فمثلا ب. سيتيوس تعامل مع هؤلاء الأشخاص في الواقع مع ملك موريتانيا، كما قدم بروتوس وبومبي المال إلى سئى السمعة أريوبارزانس، هذا من جهة أما المشكلة الكبيرة وهي اقتطاع الضرائب في أسيا الصغرى خاصة وأن العائلات التي كانت تقطن المدن التابعة لنظام المقاطعة، لم تكن قادرة على دفع الضرائب، حيث كانت هناك طريقتان لجمع الضرائب إما أن يدفع السكان الضرائب وفق الطرق المشروعة، إذن اضطروا للإستدانة من هؤلاء المصرفيين² الذين كانوا حالهم كحال جباة الضرائب على قدر كبير من الطمع والجشع.

**** - إيليريكوم: أو دالماتيا وهي المنطقة التي تمتد من إيطاليا إلى مقدونيا ومن الدانوب على طول الحدود المويسينية إلى ايبروس. في التاريخ الروماني اعتبرت هذه المنطقة الواسعة المتواجدة على الساحل الشرقي للأدرياتيك كانت مقسمة إلى مقاطعتين غليريكوم والمسماة دالماتيا أيضا وبانونيا، كانت الليريكوم طريقا للتجارة الرومانية وحلقة وصل بينها وبين اليونان وأسيا الصغرى، كانت القرن الثالث قبل الميلاد قد شهد أولى العلاقات بين الرومانيين والإليريين: للمزيد انظر: Matthew Bunson, op. cit, p 270.

¹ - H. H Scullard , From the Gracchi to Nero : a history of Rome 133 BCE to AD 68, Routledge classics, USA, 2011, pp 26, 27.

² - Ibid, p 92

اليونان (أثينا):

لم تكن أثينا أحسن من مدن آسيا من حيث المعاناة، إذ سبب حصار سولا لها الكثير من المشاكل منها المجاعة القاسية في سنة 86 ق م¹، حيث عامل سكان أثينا معاملة جد سيئة، إذ قام بارتكاب مجزرة في حق المواطنين الأثينيين، غير أنه نجت قلة قليلة من السكان الأصليين لهذه المدينة، وأثناء تواجد تيبيريوس، قام بيسو بالعبور على المدينة وهو في طريقه إلى سوريا حيث قام بإرعاب سكان أثينا بإلقائه عليهم خطابا وصف بالمر، ملمحا بشكل غير مباشر لجيرمانيكوس، والذي قال عنه أنه أنحرف عن شرف الإسم الروماني إثر معاملته الطيبة ومجاملته للسكان، وليس فقط شعب أثينا من تلقى معاملة سيئة فحتى القبائل المختلطة عوملت بقسوة، حتى بويوتيا لم تسلم من سولا والذي قام بعدة إساءات داخلها وعلى الرغم من اليونانيين وجدوا البعض من الرأفة في عهد قيصر وأوكتافيوس، ومن المؤسف أنهم كانوا في معظمهم الطرف الخاسر في الحرب الأهلية، حيث سقطت اليونان وأصبحت مدينة آيلة للدمار بحيث لن يكون بوسعها تدارك هذا الخراب، إذ تحتاج التربة الفقيرة إلى عدد كامل من السكان، ولحفزات مالية وأمنية لإعادة إحياء كيانها الذي دمر خلال العهد الجمهوري، إذن اليونان أصبحت جزءا من الهيمنة الرومانية².

إسبانيا:

حتى النصف الغربي من الممتلكات الرومانية لم يسلم من سوء التسيير، غير أنه لم يكن بالسوء الذي كانت عليه آسيا واليونان، حيث كان نفور الإسبانين من الحكام الفاسدين الذين تعاقبوا على حكم إسبانيا، غير أنه لم تكن مستعدة بأن تضع ثقها في المتمرّد المدعو سيرتيريوس، على الرغم من معاملة الحكام سكان إسبانيا أمثالك. كاسيوس لونغينوس، إلا أنه لم يمنعهم من تدبير مكيدة ضده في ظل انضمام جزء من جيشه إلى هذه المؤامرة مما أدى في النهاية إلى قتله، ونظرا لحماس وشجاعة الإسبانين جعل منهم ذلك عرضة للقمع، هذا إلى جانب أنهم كانوا محظوظين نتيجة إعفائهم من جباة الضرائب الجمهوريين، مما جعلهم على العموم يعيشون في وضعية حسنة³.

¹ - J.A. Crook, op.cit, p 154.

² - W. T. Arnold, op. cit, pp 95, 96.

³ - Ibid, p 96.

صقلية:

يبدو أن الجمهورية الرومانية قد تعاملت مع صقلية بشكل مقبول، إذ لم تقدم أي اتهام ضد حكامها الذين تعاقبوا على حكمها، وصولاً إلى حكم فيريس في فترة حكمه والتي كانت مدتها ثلاث سنوات مليئة بالأخطاء والفساد، فاتسم حكمه بعدم الإنضباط¹ خاصة في قضية ابتزاز المال من السكان المحليين لصقلية والذين عاملهم بشكل سافر عن طريق انتزاع أموالهم بالقوة²، كما سار على خطاه العضو الثالث من التحالف الثلاثي الثاني تيبيريوس، لم يكن يسلم أي جزء من العالم الروماني بحيث لم يترك فيه حاكم سيء السمعة بصمته عليه، حيث كان هناك العديد من القضاة مذنبين في آسيا، والكثير منهم في إسبانيا، الغال، سردينيا، حتى في صقلية نفسها³.

لقد كانت الآليات التي سارت عليها سياسة الجمهورية في تسيير حكومتها في المقاطعات تسيير بشكل سيئ، كما كان حكامها أسوأ من ذلك، فإن كان الحاكم سيئاً بسوء النظام على حد سواء فستكون النتائج كارثية على سكان المقاطعات، فالقوانين كانت لحد ما جيدة ولكن بغياب من يطبقها أو يعمل بها على أحسن وجه بدون خوف أو أخذ الأفضلية الشخصية⁴.

ومما نخلص إليه كخاتمة أنه تلکم كانت مساوئ النظام التي سارت عليه الجمهورية الرومانية، والذي عملت به في المناطق التي ضمته إليها والتي أخضعها لنظام المقاطعات، وكأي دولة أو كيان سياسي، لا بد من وجود قادة وحكام فاسدين من شأنهم أن يتركوا في نفوس الأهالي حالات من السخط أدت آنذاك لإنتفاضات وتمردات رداً على المعاملة السيئة التي قوبلوا بها من طرف هؤلاء الحكام، وما يحسب للعهد الجمهوري هو تلك القوانين التي سنّها بعض القادة البارزين أمثال الإخوة غراكوس ويوليوس قيصر وغيره ممن أنشأوا محاكم تعنى بتظلمات الرعية الرومانية، غير أنها لم تطبق بشكل يستفيد منه السكان المحليين، لذا كانت تلك القوانين نقمة عليهم ذلك أنها مست تلك الطبقة النبيلة الأرستقراطية التي كانت تجري وراء استنزاف أموال الشعب والرعية الرومانية لملى خزائهم الشخصية، على

¹ - Ibid.

² - William E. Dunstan, op. cit p 160.

³ - W. T. Arnold, op. cit, pp 96, 97.

⁴ - Ibid, p 97.

حساب المواطنين الذين أثقلوا بالضرائب، فالأكيد أن تلك الطبقة الغنية كانت عضوا في مجلس الشيوخ الروماني الذي يصادق على إنشاء تلك المحاكم وبالتالي المتحكم الرئيسي فيها هم أولئك الين ينتمون لهذه الطبقة وكتحصيل حاصل كان لصالحهم أن يمارسوا الضغط على مجلس الشيوخ لاعتراض التظلمات وبالتالي ضاعت حقوق الرعية وأدى ذلك إلى تدهور العلاقات بين الحكام والشعب مما أدى إلى التدهور الكلي للجمهورية الرومانية، فكان تضارب المصالح أدى لسقوطها.